

علم المصطلح بين إرغاصات النشأة القديمة والتأسيس العلمي الحديث
**Terminology between the precursors of the
ancient establishment and the modern scientific
foundation**

إلياس لوناس * ¹Ilyas lounas

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في الجزائر " الواقع والمأمول"
جامعة العربي بن مهيدي . أم البواقي (الجزائر)

El arbi ben mhidi- oum el bouaghi university (algeria)

lounasilyas20@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/07/28	تاريخ القبول: 2022/07/19	تاريخ الإرسال: 2022/06/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تأتي هذه الدراسة لتقف على أهم الخطوات التأسيسية التي قام عليها الدرس المصطلحي القديم عند العرب والغرب، حيث نعين أهم الإرغاصات والإشارات الأولى في الموروث العربي خصوصا لنكشف عن أهم خلفياته عن العرب قبل أن يستجبل علما قائما بذاته في العصر الحديث، وذلك لأن علم المصطلح نشأ في أحضان علوم مختلفة أسهمت في صقله، وأوصلته إلى حالة من النضج، إلا أن الدرس المصطلحي العربي الحديث أصبح يتغذى على النتاجات الغربية، في غياب صريح لنظرية مصطلحية عربية تتوج الجهود العربية التراثية في خلق فجوة معرفية كبرى بين الدرس الغربي والعربي..

الكلمات المفتاحية: تأسيس؛ علم المصطلح؛ تراث عربي؛ نظرية مصطلحية.

Abstract : This study comes in the important steps in the foundational steps of the science of the ancient terminology among Arabs and the West in which we stand on the foundational dimensions of this science, and reveal its backgrounds about the Arabs, as it is known that the science of the term has passed through several different sciences of its refinement, and brought it to a state of maturity, except The modern terminological lesson for the Arabs feeds

* إلياس لوناس: lounasilyas20@gmail.com

on Western products, while its theory remains on the natural heritage, which contributed to creating a ray gap between the Western and Arab erminological lesson.

Keywords: Establishing; terminology; Arab heritage; term theory.



مقدمة:

لقد شغلت قضية المصطلح أذهان النقاد والمفكرين في مجال الدرس اللغوي، ووضعتهم أمام عدة إشكالات، خاصة مع بروز الدراسات اللغوية الحديثة التي تتسم بطابع العلمية، الذي جعلها رديفة العلوم الطبيعية، وأسقط عنها حجاب المعيارية، وألزمها بالدقة والموضوعية.

ومع توهج الدراسات اللغوية، واستقرارها على بعض المفاهيم الثابتة، والتي من جملتها أن لكل علم مصطلحاته الخاصة التي تميزه عن غيره، كان واضحا أن العلم الذي لا تكون له مصطلحاته العلمية لا يمكنه أن يتسم بالعلمية، ذلك بأن العناية بالمصطلح وسيلة مهمة لفهم العلوم قبل أن تكون غاية في حد ذاتها.

وقد أظهرت مخلفات الحركة العلمية التي شهدها العالم مطلع القرن العشرين الفاقة المعرفية المهولة التي وصلت إليها أغلب العلوم الإنسانية خاصة إذا ما قورنت بالتقدم والتطور الهائلين اللذين تشهدهما العلوم الطبيعية عموما، وهو ما أسهم بشكل كبير في بلورة الفكر السائد في محيط الدراسات اللغوية من أجل السمو بها إلى مصاف العلوم الطبيعية دقة ومنهجيا وتجانسا، ومع الحملة الفكرية الواسعة التي تم فيها إعادة قراءة تراث أرسطو ظهرت بوادر فكرية شملت عديد الأصعدة، ومست مختلف المجالات، وفي خضم تلك التراكمات المعرفية المتسارعة تأكدت الحاجة إلى وضع المصطلح مع تبلور آلية الترجمة التي تعد وسيلة لنقل العلوم إلى الضفة الأخرى، والتي ينبغي فيها مراعاة المقابل الثقافي والوظيفي، وحتى الوصفي... بما يكفل للمصطلح كفاءته، ويحقق له دقته، ذلك بأن كل علم يصنع في بدايته معجماً لغوياً خاصاً به، وهو ما يعرف بمنظومته الاصطلاحية الخاصة فيصبح كمصطلح من تلك المصطلحات حاملاً لمعارف محددة من ذلك العلم.

1. النشأة والتأسيس للمصطلحي قديماً عند العرب:

كان العرب في جاهليتهم على إرث آبائهم سواءً في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرايبهم، فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالإسلام حالت أقوالاً ونُسخت الديانات، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ

من مواضع إلى مواضع آخرَ بزيادات زيدت وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت فغُفي الآخر على الأول¹.

وقد تفتن العرب إلى هذا الأمر منذ عصور متقدمة، فمجيء الإسلام وتوسع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار العلم والكتابة وأمام الضرورة الملحة التي دفعت إلى تدوين كل العلوم الإسلامية، ظهر في بيئة علم الحديث ما يعرف بـ «علم المصطلح»، وليست الغاية منه علم الحديث جملة واحدة، وإنما الغاية فيه هي كونه جزءاً من علم الحديث أحد متعلقاته التي لا تنفك عنه²، فقد استعمل أهل الحديث هذه التسمية، وأرادوا بها العلم الذي يهتم بمصطلحات علم الحديث، من تعريف وتبيين وشرح لما كانوا قد اتفقوا عليه من مداخل ومفاهيم في هذا العلم.

والواقع أنّ الحركة العلمية والفكرية كانت سبباً مباشراً في تفتن الباحثين لأهمية المصطلحات، خاصة في ظل اكتساح الترجمة لميادين البحث، فأصبحت حاجة المترجمين والمؤلفين أكثُر من ذي قبل إلى ألفاظ تحمل دلالات دقيقة لمفاهيم العلوم والفنون، وأصبح المصطلح عنصراً أساسياً في ضبط العلوم وتحصيلها، لأنه يضبط قصد المتكلم، سواء تعلق ذلك بالنص الأصلي أم المترجم، ليصبح المصطلح على قدر واسع من الأهمية، لأن «أكثر ما يحتاج به إلى الاستدلال هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهمه دليلاً³»

وبالعودة إلى الدراسات التراثية، فإنّ أظهر مظاهر التغير الحاصل على مستوى المصطلحات الإسلامية هي التي جاءت في القرآن الكريم بعد ظهور الإسلام، وكان لكثير منها معنى لغوي فنقلت من معناها الأول إلى معنى مغاير، ليظهر بذلك الأثر البالغ للجانب الديني في كونه عنصراً مهماً في نمو اللغة وفتح باب تطور المفاهيم، وضرورة الألفاظ من معنى إلى آخر يقتضيه الشارع، ومن جملتها الأسماء الشرعية كالشهادة والصوم والحج والعمرة والزكاة والأسماء الدينية كالإسلام والإيمان والكفر والنفاق والفسق، فضلاً عن الأسماء الجديدة مثل «القرآن» قال «الجاحظ»: «وقد سمي كتابه المنزل قرآنًا، وهذا الاسم لم يكن حتى كان»⁴.

والحق أنّ الحديث عن تأسيس مصطلحي يجرنا حتماً إلى الحديث عن السمة التراكمية التي تطبع العلوم، بحيث يدفعنا الحديث عن التراكمات الفكرية التي مرّ بها هذا العلم قبل أن يصير إلى العلمية، ورغم أننا قد أسلفنا الإشارة الم جملة إلى بعض الجهود التي ساهمت في بعث هذا الباب وتطويره، إلا

أننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الوقوف على جملة من الجهود التي يمكن عدّها تأسيساً فعلياً لعلم المصطلح القديم عند العرب.

ولعلّ من جملة القليل الذي سنستغني بذكره عن الكثير من تلك الجهود ما أشار إليه عبد السلام المسدي في أثناء تطرّق ابن جني لنظرية المحاكاة في نشأة اللغة ومعالجته لهذه القضية من خلال ظواهر لغوية عدّة، جعلها أبواباً ومباحث لخصائصه، كباب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وفكرة "المساوقة"، ثم مبدأ التعديل والاحتذاء إلى أن يصل إلى فكرة "التصاقب".

إنّ ما وصل إليه أبو الفتح، دون الحديث عما بدله من بحث وتنقيب حتى وصل إلى ذلك المستوى العالي من الوعي بفكرة المصطلح، ليجعلنا حيارى أمام عدة تساؤلات، نصل من خلالها حد الاقتناع بكون ابن حني قد سبق إلى بحث علم المصطلح، وليس في ذلك أي حط من قيمته أو قيمة بحثه، وإنّما هو تأكيد على مبدأ التراكمية من جهة، وتأكيد ثان على جهود علمائنا في هذا الميدان، خاصة تلك التي كانت في القرن الرابع الهجري أين بلغ الفكر اللغوي العربي أعى درجاته، وإن لم تبلغ في مجملها ما يمكن وصفه علماً مستقلاً قائماً بذاته.

ولعلّ القلب النابض للبحث المصطلحي عند العرب . إن صحّ القول . هو بحث الخوارزمي في كتابه " مفاتيح العلوم"، والذي يعدّ نموذجاً حقيقياً تبرز من خلاله أسبقية الفكر العربي في هذا الميدان، خاصة إذا وقفنا على مقولته المشهورة لدى أهل الاختصاص في معرض حديثه عن سبب وضع الكتاب حين قال: « دعني نفسي إلى تصنيف كتاب باسمه النابه ليكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من الموضوعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جُلّها الكتب الحاضرة لعلم اللغة حتى إنّ اللغوي المبرز في الأدب إذا تأمل كتاباً من الكتب التي صنفت في أبواب العلوم والحكمة ولم يكن شدا (أخذ) صدرّاً من تلك الصناعة لم يفهم شيئاً منه وكان كالأعمى الأغتم عند نظره فيه»⁵.

وقبل أن يستحيل بنا الحديث إلى ما يمكن القول عنه تأسيساً فعلياً لعلم المصطلح في العصر الحاضر، فإنه يجدر بنا أيضاً أن نعرّج على جهود بعض العلماء العرب المصطلحية، ذلك بأنّه ورغم إقرارنا بنوعية بحث الخوارزمي على وجه التحديد، ووعيه المسبق بأساسيات ومهمات علم المصطلح، فإن لبعض العلماء العرب أيضاً قدّم راسخة في هذا الميدان.

ومن جملة نصوص المعجميين الذين استعملوا لفظي " اصطلاح " و " مصطلح " بوصفهما مترادفين نذكر عبد الرزاق الكاشاني في كتابه " اصطلاحات الصوفية "، حيث قال في مقدمته: «... فقسمتُ الرسالة على قسمين: قسم في بيان المصطلحات ما عدا المقامات...»⁶، كما استعمل الكاشاني لفظة " مصطلح " في مقدمة كتابه " لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام " حيث جاء فيه ما نصّه: «فإني لما رأيتُ كثيراً من علماء الرسوم، ربما استعصى عليهم فهم ما تتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من النكت والأسرار، ... أحببتُ أن أجمع هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم»⁷.

وهو ما نجده مع ابن خلدون، حيث ورد في " المقدمة ": «الفصل الواحد والخمسون في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان...»⁸، وجاء التهانوي بعد ذلك، واستعمل محمد اللفظي " اصطلاح " و " مصطلح " بعدد مترادفين، وذلك في مقدّمة كتابه الموسوم بـ " كشاف اصطلاحات العلوم ": حين قوله: «فلما فرغت من تحصيل العلوم العربية والشرعية، وثمّرت على اقتناء العلوم الحكيمة والفلسفية...، فكشفها الله عليّ، فاقبستُ منها المصطلحات أوان المطالعة وسطرّها على حده...»⁹.

ومن مظاهر عناية العلماء العرب بالمصطلح اجتهادهم في وضع مصنفات موسوعية تحوي مصطلحات الفنون المختلفة، ومن جملتها: "كتاب مفاتيح العلوم" الذي وضعه " الخوارزمي "، وكتاب "التعريفات" للجرجاني، و "كشاف اصطلاحات العلوم والفنون" للتهانوي، وكلها معلّمة من معالم قواميس مصطلحات الفنون المختلفة، ولعل أكثرها نضجا واكتمالا هو كشاف التهانوي، حيث استوعب جهود من سبقوه في هذا المجال.

2. التأسيس الغربي القديم لعلم المصطلح:

لقد عُرف الاهتمام بالمصطلح عند الغرب منذ القدم، وذلك كما هو معهود في تاريخهم اليونان التي تعد مهد علومهم ومعارفهم، وقد وجد هذا الاهتمام عند الفلاسفة وعلماء المنطق، إذ نجد أنّهم اعتنوا بالمصطلح أيضاً، فِيمَا وَقَفَ عليه أفلاطون وسقراط وأرسطو وغيرهم على السفسطائيين إلاّ من جهة لما استخدموه من ألفاظ اصطلاحوا عليها في غير ما أريد بها، كما أوجدوا مصطلحات كانت حسبهم سببا في تغيير توجه الناس وسلوكهم منها ما جاء في كتاب "أفلاطون"، الذي نَظَرُ

فيه سقراط زعيم ومعلم السفسطائيين (بروتاجوراس) حول (الفضيلة) فقد اختلف معه في مفهومها¹⁰.

وبرز ذلك أيضا في كتاب أرسطو "السياسيات"، حيث أبان فيه أرسطو عن موقفه من السفسطائيين وما عُرفوا به من قلب لمعاني الألفاظ، فقال في ذلك: « لا تعد الخطابة فنا وإتقانها لا تنفع شيئا إذ تحاول مزج الحق بالباطل وتزييف الحقائق وإبراز البهتان بثوب الحقيقة»¹¹، وكذلك نجد ما أورده أبو زهرة عن سقراط أنه وجد السوفسطائيين قد امتهناوا التلاعب بالألفاظ و جعلوه طريقا لحل أخلاق الشباب الأثيني، وإفساد اعتقاده والعبث بكل ما هو فاضل لديه ولذا كان أول ما دعا إليه سقراط تعيين المعاني الدالة عليها الألفاظ حتى لا يتخذ المفسدون من بريق اللفظ ما يفسد الاستدلال والتفكير¹².

ويروى عن أفلاطون أنه كان يقول لتلاميذه: لتتكلم اليونانية، والقصد التكلم بها على وجه يكون معه لكل لفظة يتفوه بها إلى المتكلم مفهوم واضح في ذهنه.¹³

وبمرور مرحلة العصور المظلمة والكنسية وبزوغ نجم عصر النهضة، والتغير الحاصل على مستوى المفاهيم والوسائل نجد أيضا أنهم انتبهوا مبكرا لأهمية المفاهيم والمصطلحات، وظهرت بوادر هذا الاهتمام في نصف القرن الثامن عشر الأول الميلادي على يد المفكر الفيلسوف كريستيان كوتفريد شوتز، على الرغم من أنه لم تكتب له أي تسمية إلا مع الفيلسوف الإنجليزي ويليام، الذي عرّف مصطلحات التاريخ الطبيعي بقوله: «نسق المصطلحات المستعملة في وصف موضوعات التاريخ الطبيعي»¹⁴.

3. التأسيس الفعلي لعلم المصطلح الحديث عند الغرب:

أما إذا اجتزأنا الحديث عن هذا العلم في العصر الحديث، فإنه يعد فرعا من الأفرع الحديثة لعلم اللغة التطبيقي، إذ يتطرق إلى الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها، ومن هنا يظهر أنّ وضع المصطلحات لم يعد في ضوء المعايير المعاصرة، يتم بصورة انفرادية، ولكن وفقا لمعايير أساسية تنبع من علم اللغة ومن علم المنطق ومن نظرية المعلومات والتخصصات المعنية، وهذه المعايير تنمو بالتطبيق لتكوّن الإطار النظري والأسس التطبيقية لعلم المصطلح¹⁵.

أما تحديد معنى "المصطلح" في القواميس الغربية؛ فقد ورد في القاموس الإنجليزي على أساس مادة term بأنها: «لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات، أو معنى خاص بعلم أو فن، أو مهنة أو موضوع»¹⁶.

وقد حدّد قوستر المجال العام لعلم المصطلح، أو نظريته العامة، محاولا بذلك احتواء جميع تفرّعات هذا العلم، حيث خصّه بأنّه يتناول طبيعة المفاهيم، وخصائصها، ونُظُمها، ووصفها، إلى جانب طبيعة المصطلحات ومكوناتها وعلاقاتها الممكنة وطرق اختصارها، والعلامات والرموز، وتُجمل التفرّعات الأخرى التي ذكرها لعلم المصطلح فيما يأتي:

. معجمات المصطلحات.

. أنماط الكلمات والرموز.

. المداخل الفكرية ومدخل الكلمات.

. توحيد المفاهيم والمصطلحات.

. تتابع المداخل.

. مفاهيم المصطلحات الدولية.

. توسيع المداخل.

. تدوين المصطلحات.

. مناهج إعداد معجمات المصطلحات¹⁷.

. عناصر معطيات المفردات.

والسبب الذي جعله يقسمها وفق هذه الطريقة هو كون هذه القضايا المنهجية جميعها لا ترتبط بلغة مفردة أو بموضوع بعينه، ولذلك فهي من مباحث علم المصطلح العام¹⁸.

أمّا علم المصطلح الخاص فيتضمّن تلك القواعد والمبادئ الخاصّة التي تحكم وضع المصطلحات في لغة مفردة، مثل اللغة العربية واللغة الألمانية واللغة الإنجليزية، أو في حقول المعرفة المتخصصة، كالكيمياء، والأحياء، والطب...

ويساهم في تطوير نظرياتها الخاصة عدد من المنظمات الدولية المتخصصة، بحسب تخصص كل واحدة منها، ومن جملة هذه المنظمات منظمة الصحة العالمية والهيئة الدولية للتقنيات الكهربائية...¹⁹.

وهذا التقسيم يجعله يوازي التمييز بين علم اللغة العام، أو نظرية اللغة من جانب، وعلم اللغة الخاص بلغة واحدة من جانب آخر²⁰.

ولما كانت تلك الإشارات لم تؤهلهم للوصول إلى أدق النظريات المصطلحية ولم ترتق إلى صفة العلمية، أمكن القول أنّ علمية علم المصطلح لم ترَ النور إلا حديثا وكان ذلك بفضل "أوجن فيستر" في النصف الأول من القرن العشرين ووجدت نظريته المصطلحية صدى بين أوساط الباحثين والدارسين فتشكّلت على إثرها نظريات ومدارس عنيت كلّها بقضايا المصطلح، ومن جملة تلك المدارس نذكر:

■ مدرسة فيينا:

تقوم هذه المدرسة في دراستها للمصطلح على نظرية مؤسسها المهندس النمساوي فيستر، والتي جاءت في أطروحته المقدّمة إلى جامعة برلين عام 1931م بعنوان "التقييس الدولي للغة التقنية"، وكان فيستر قد تبنى اتجاهها فلسفيا قوامه النظر إلى المفردات بوصفها وسيلة من وسائل الاتصال ملتصقة بطبيعة المفاهيم، ولهذا فإن البحث المصطلحي عنده يجب أن ينطلق من دراسة تلك المفاهيم، والعلاقات القائمة بينها، وخصائصها ووصفها، وتعريفها، ثم بعد ذلك صياغة المصطلحات التي تعبر عنها، وتنميط المفاهيم والمصطلحات وتدويلها، ويبدو أنّ إدارة المصطلحات في منظمة اليونسكو قد تبنت توجهات هذه المدرسة في أنشطتها²¹.

■ مدرسة براغ:

ولدت هذه المدرسة في أحضان مدرسة براغ اللسانية الوظيفية، التي أرسّت نظرياتها اللغوية بالاعتماد على أعمال فرديناند دي سوسير الذي كان يؤكد على الجانب الوظيفي للغة، والذي يعدّ مؤسس علم اللغة الحديث، ويتبلور محاضرها في المصطلح في كونها تتبنّى هذه المدرسة توجهها لسانيا مفاده أن المصطلحات تشكّل جزءاً، أو قطاعاً خاصاً، من ألفاظ اللغة...²².

■ المدرسة الروسية:

أسسها اثنان من المهندسين الروس " شابلجين " و " لوط "، وتتبع هذه المدرسة اتجاهها موضوعيا، يضع المفهوم وعلاقاته بالمفاهيم الأخرى المجاورة في مركز الثقل، وكذلك المطابقة بين المفهوم والمصطلح، وتخصيص المصطلحات للمفاهيم، متأثرة بذلك بمدرسة فيينا من حيث ضرورة تنميط المصطلحات، وتقييسها وتوحيدها، كما تتبنّى التطبيقات المصطلحية بدلاً من المعجمية، من حيث ترتيب المادة، أي أنّها ترتب المصطلحات طبقاً لموضوعاتها بدلا من ترتيبها ألفبائيا²³.

ومن منظور علي القاسمي فإن مدرسة فيينا هي المدرسة الأكثر فعالية، وذلك عائد بالأساس إلى مركز المعلومات الدولي الذي تأسس سنة 1971، باتفاق بين منظمة اليونسكو، والحكومة النمساوية آنذاك.

ولم تتوقف الجهود عند هذه المدارس، بل كان لجملة من المنظمات جهود أخرى اضطلعت بالنهوض بهذا العلم الفتي، فقد ظهرت اللجنة التقنية للمصطلحات ضمن الاتحاد العالمي لجمعيات المقاييس الوطنية ISA في سنة 1936، وبعد الحرب العالمية الثانية حلت محلها لجنة أخرى تسمى (اللجنة التقنية) وهي فرع من المنظمة العالمية للتوحيد المعيارى (ISO) إيزو، وقد تولت هذه اللجنة مهمة وضع مبادئ المصطلحات وتنسيقها.

وعلى الرغم من اعترافنا بعجز الدرس المصطلحي القديم عند العرب عن مجازة السمة العلمية التي نعرفها اليوم، فإننا لا نجرأ على إقرار قول الميساوي بوصف الدرس المصطلحي عند العرب بكونه مجرد إشارات ساذجة لبعض المصطلحات ووضع تعريفاتها اللغوية بالوضع والتوليد والمجاز... بحيث لم ترق إلى العلمية. كما أشرنا-على الرغم من اضطلاع العرب القدماء بوضع المعجمات المختلفة...²⁴.

ومهما يكن من أمر، فقد أسندت قضية وضع المصطلحات والمقابلات لمصطلحات مختلف الموضوعات والعلوم إلى مجامع اللغة العربية كمجمع القاهرة وبغداد ودمشق ودورها في صياغة أسس وضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية، كما يحسب لمكتب تنسيق التعريب بالرباط الذي تولّى مهمة تنسيق المصطلحات في الوطن العربي في سنة 1969م سبقه في هذا الميدان²⁵.

وقد وضعنا هذه المدارس أمام عدة نظريات تتلخص أشهرها في:

أولاً: النظرية الكلاسيكية العامة:

وهي من وضع "فoster" في مستهل العقد الثالث من القرن العشرين، وتهدف إلى ضبط المبادئ العامة التي تحكم وضع المصطلحات، طبقاً لعلاقاتها مع المفاهيم العلمية، وتعالج المشكلات المشتركة بين جميع اللغات وفي حقول المعرفة كافة²⁶.

ثانياً: النظرية الخاصة:

على خلاف النظرية الخاصة اختصت هذه النظرية بالبحث في المقاييس التي تتحكم في عملية وضع المصطلحات في لغة محددة داخل قطاع معرّفي معين، على نحو دراسة المصطلح في علاقته بأنماط التعريف والمنظومة المفهومية التي ينتمي إليها، كما تتطرق هذه النظرية إلى القضايا ذات الصلة بالبعد اللساني في ضوء ما يمنحه النسق الصرفي من إمكانيات توليدية في باب بناء الكلمة، ومن أهم تحليلات هذه النظرية وضع قوائم خاصة بالمصطلحات أو ما أصبح يسمى فيما بعد بالمعاجم أو القواميس ثم ظهور بنوك المصطلحات الخاصة بمحقل معرّفي خاص من خلال عمليات الجرد والتدوين والتعريف والتخزين²⁷.

4. التأسيس الفعلي لعلم المصطلح عند العرب المحدثين:

أمّا عند العرب، فإن الحديث عن علم المصطلح، وبحسبنا له من حيث هو بحثاً إجمالياً في صورته الحديثة يجعلنا نستحضر جملة من أعلامه في العالم العربي عموماً، والمغاربي خصوصاً، ولعل منهم عبد السلام المسدي التونسي الذي كان له جهود تذكر فتشكر في حقل علم المصطلح اللغوي، ومما قاله في علم المصطلح: « لفظه "المصطلح" ذاتها هي - في مصفوفة المشتقات- اسم مفعول مستخرج من فعل متعد إلى مفعولين، فيكون من حَقّها أن تحمل معها مفعوليهما فنقول: المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على تصوراتهم الذهنية، الخاصة بالحقول المعرفي الذي يشتغلون به، و يأتئمهم الناس عليه، ولا يحق لأحد أن يتداولها بمجرد إضمار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها، وما حدده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقاً تاماً»²⁸.

أما علي القاسمي فيعرفه بقوله: «المصطلح كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة مصطلح بسيط، أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب)، ويسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما»²⁹.

فبينما يظهر ما يذهب إليه علي القاسمي من تحديد صفة المصطلح الجيد بشرطين أولهما: تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل.

والثاني: عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح واحد.

يذهب أحمد مطلوب إلى القول بأن هذان الشرطان ربما لا يتحققان في كثير من المصطلحات، فهناك مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء، وهناك أكثر من مصطلح للدلالة على شيء واحد، وهذا راجع إلى تعدّد واضعي المصطلح واختلافهم في ترجمته خصوصا³⁰.

ويبرز عبد الغني بارة الأهمية البالغة التي يكتسبها المصطلح، بقوله: «هو قضية تتعلق ماضيا بفهم الذات وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات، وبدون الفهم الصحيح للماضي لن نستطيع معرفة الحاضر ولن نستطيع صنع الشخصية المتميزة في المستقبل، وبدون الفهم الدقيق للمصطلحات لن نستطيع التواصل، ولا البناء إحكام»³¹.

ومن الجهود التي تناولت علم المصطلح نذكر كتاب: قاموس اللسانيات للأستاذ عبد السلام المسدي حيث يقول في كتابه في واحدة من أشهر العبارات الشائعة على لسانه معرجا على علم المصطلح ومبيناً فائدته: «مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى؛ فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد عما سواه وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية...»³².

فإذا استبان ما نقره من خطر المصطلح في كل فن من الفنون، توضح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، ونذكر أيضا على سبيل المثال معجم المصطلحات اللسانية لـ"عبد القادر الفاسي الفهري"، حيث يقول في كتابه: «وهكذا رفدت اللغة العربية مفردات لغات أخرى ألفاظا مضامين؛ فاعتنى المعجم اللساني العربي بهذه الروافد الداخلة التي حرصنا على ألا تختلط بالمفردات، أو المصطلحات العربية المقترنة ببناءات تصويرية ومعرفية وثقافية وتقنية مغايرة»³³.

وقد أشار في ثنايا كلامه إلى إشكالية لا تقل أهمية عن مثيلاتها، وهي إشكالية تعبئة المفاهيم الجديدة بالمفاهيم القديمة، ما سيوصل الأمر إلى إحداث إسقاط وشرح هائل في المعرفة القديمة، بادعاء وجود ما لم يوجد فيها، وتعبئة المعارف والمفاهيم الجديدة في مقابل ذلك بما كان قديما ومستهلكا، لا يمت لما هو سائد في الحاضر بصلة.

خاتمة:

وبعد هذه النظرة الخاطفة التي عرضنا من خلالها أهم المحطات التي مر بها الدرس المصطلحي الحديث، وبعض من أساسياته وتفريعاته، إلى جانب بعض اللّمحات التأسيسية للعلم عند العلماء العرب،

والتي تؤكد مرة أخرى على أسبقية التفكير اللغوي العربي عموماً، والمصطلحي عند العرب، وعلى أصالته ونوعيته التي تجعله يضاهي أحدث ما وصل إليه الدرس المصطلحي الحديث، والتي تجعل الدارس يتيقن أن المنطلق الحقيقي لبناء نظرية مصطلحية متكاملة تتأتى من إعادة الوقوف على هذا التراث الزاخر ابتداءً، قبل التفكير في إدخال ما استجد من الدرس المصطلحي المعاصر، بما يعيد لهذا التراث حيويته ونشاطه، ويكفل للغة العربية بعثاً جديداً.

فإنه وإن كنا لا نقول ولا نرى بجدوى الدراسات الإسقاطية السطحية، أو الساذجة بمعنى أدق، إلا أننا لا نرى لنا معدناً ثميناً أثمن من تراثنا الذي ينبغي أن يكون مادة خصبة تنفتح عندها أدمغة الباحثين، ويسيل على أعتابها مداد الدارسين، بما يمكن أن يكشف عن مكوناتها، ويكون بمستوى يتواءم ويتلاءم مع ما تشهده ساحة الدراسات اللغوية العالمية اليوم، ولا شك أن ذلك لن يكون متاحاً إلا بتعميق البحث، وتوحيد الجهد، وبدل الأوقات من أجل الحصول على القليل الذي قد يتكاثر مع المداومة عليه، وتدعيمه، بما يخلص الساحة اللغوية والمكتبة العربية عن حالة التبعية التي ما لبثت تعيشها في العصور المتأخرة.

إنّ الدرس اللغوي العربي الحديث في حاجة ماسة إلى تأسيس نظرية لغوية تراعي النظام اللغوي العربي، وشحناته الثقافية ومرجعياته الحضارية التي تختلف عن الثقافات الأخرى، وهو ما سيمكن من استثمار الجهود اللغوية التي ظلت حبيسة الكتب، واستثمارها في الوضع المصطلحي الميداني، ما يعيد للغة العربية حيويتها التي تنطلق من انفرادها بجهازها المصطلحي الخاص، وعودتها إلى حيز الاستعمال.

الهوامش:

¹. أحمد بن فارس: الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م، ص 78.

². ينظر: طارق بن عوض الله بن محمد: إصلاح الاصطلاح، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر، 2008م، ط1، ص13.

³. التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط2، 1996م، 1/1.

⁴ الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965م، 3/1.

⁵. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1989م ص2. 3.

⁶. الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، القاهرة، دار المنار، 1992م، ص1.

- 7 . الكاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تح: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ص1.
- 8 . ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م، 1/ 775.
- 9 . التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، ص1.
- 10 . أفلاطون، أفلاطون في السفسطائيين والتربية، ترجمة وتقديم عزت قرني، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ط، ص11.
- 11 . أرسطو، السياسيات، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (اليونسكو)، بيروت، 1957م، ط، ص 11.
- 12 . محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007م، ص77.
- 13 . الشاهد بوشخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، ص9.
- 14 . أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، 2005م، ص4.
- 15 . ينظر: حسين نجا، إشكالية المصطلح، وأزمة الدقة المصطلحية في المعاجم العربية، مجلة مقاليد، عدد10، جوان 2016، ص195.
- 16 . يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ص 22.
- 17 . ينظر: محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص19. 20.
- 18 . ينظر: المرجع نفسه، ص20.
- 19 . علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص312.
- 20 . محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص20.
- 21 . علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، ص271

- ²². أحمد عزوز: المدارس اللسانية، أعلامها مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار آل الرضوان، وهران، الجزائر، ط2، 2008م، ص131.
- ²³. علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، ص310.
- ²⁴. الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، 2013م، ص36.
- ²⁵. ينظر: علي القاسمي، المصطلحية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1985م، ص11.
- ²⁶. علي القاسمي: النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، ندوة المصطلح النقدي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - كلية الآداب ص128 . 129.
- ²⁷. جواد حسين سماعة: الحركة المعجمية بمكتب تنسيق التعريب في ضوء النظريات المصطلحية الحديثة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، عدد46، الرباط، 1998م، ص47.
- ²⁸. -عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب العربية المتحدة، بيروت- لبنان، 2004م، ط1، ص146.
- ²⁹. علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1987م، ص215.
- ³⁰. -أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 2001م، ص2.
- ³¹. عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص283.
- ³². عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، مطبعة كويت، 1997م، ص52.
- ³³. عبد القادر الفاسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص177.

المراجع:

1. أحمد بن فارس: الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م، ص 78.
2. أحمد عزوز: المدارس اللسانية، أعلامها مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار آل الرضوان، وهران، الجزائر، ط2، 2008م.
3. أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 2001م.
4. أرسطو، السياسيات، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (اليونسكو)، بيروت، 1957م.
5. أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، 2005م.
6. أفلاطون، أفلاطون في السفسطائيين والتربية، ترجمة وتقديم عزت قرني، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
7. التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط2، 1996م.
8. الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965م.
9. جواد حسين سماعة: الحركة المعجمية بمكتب تنسيق التعريب في ضوء النظريات المصطلحية الحديثة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، عدد46، الرباط، 1998م.

10. حسين نجا، إشكالية المصطلح، وأزمة الدقة المصطلحية في المعاجم العربية، مجلة مقاليد، عدد 10، جوان 2016.
11. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1989م.
12. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.
13. طارق بن عوض الله بن محمد: إصلاح الاصطلاح، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر، 2008م، ط1.
14. عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، مطبعة كويتب، 1997م.
15. عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب العربية المتحدة، بيروت - لبنان، 2004م.
16. عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.
17. عبد القادر الفاسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
18. علي القاسمي، المصطلحية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1985م.
19. علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1987م.
20. علي القاسمي: النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، ندوة المصطلح النقدي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - كلية الآداب.

21. الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، القاهرة، دار المنار، 1992م.
22. الكاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تح: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م.
23. محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007م.
24. الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، 2013م.
25. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت.